مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 149 (2): 90-105

Damascus university journal of Historical Studies
V 149 (2):90-105

المدرسة الرهبانية الباسيلية (٣٣٠- ٣٧٩م)

رمزي محمد النعمات[1]، أ.د. محمد محمد الزين[2]

تسجيل دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
دكتور في قسم التاريخ،، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

الملخص:

يوضح هذا البحث أنَّ القدّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩ م) منظم الحياة الدَّيرية في آسيا الصغرى إذْ كان لقوانينه الدَّيرية الدور الحاسم في تطور النظام الدّيري في الإمبراطورية الرومانية، يعود الفضل له في تحويل الرَّهبنة من حالة النشاط الذهني في التأمل والتفكير إلى حالة النشاط الاجتماعي، ومن حالة العزلة عن المجتمع إلى حركة ديناميكية فعالة لها تأثير في المجتمع؛ حيث كان لها دور بارز في نشر الديانة المسيحية في أرجاء الدولة الرومانية، وقد كان للأديرة الباسيلية دوراً مهماً في المحافظة على التراث الثقافي اليوناني والروماني .

في ضوء ذلك تبين أنَّ النظام الرّهباني الباسيلي لم يتعنت بالتمسك بقواعد ثابتة ولم يتصف بالجمود بل كان مرناً؛ وهذا دليل قوي على حيوية النظام الدّيري الباسيلي الذي وضع لخدمة المجتمع والإنسانية.

لأهمية هذا الأمر تم البحث في الرَّهبنة الباسيلية ودورها الحضاري، فتمّ التعرض لحياة القدّيس باسيليوس (330-379م) وقوانينه الدَّيرية ثم تبيان كيف أُنشأت هذه المدرسة الدَّيرية وتم أيضا التطرق إلى قواعد الرَّهبنة الباسيلية وختاماً بالمظاهر الحضارية للرَّهبنة الباسيلية .

الكلمات المفتاحية: الدير، كبادوكيا، القديس باسيليوس، القوانين، التشريعات، المكانة .

تاريخ الايداع: **2022/9/5**
تاريخ النشر : **2022/10/30**

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب**CC BY-NC-SA**

The Basilian monasticism

Ramzi AL-Naamat, Dr.Mohammad AL-ZaIn

PhD, Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus.[1]
[2] Doctorate in the Department of History, Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus.

Abstract

The creat saint Basil is considered the founder of the monastic movement in Central Asia, because his laws played an important role in developing the monastic system in Roman empire, thanks to him for converting the monasticism from the intellectual meditative activity into social society and from isolation into dynamic and effective movement, and it helped spread the Christianity in Roman empire, and played an important role in preserving the Greco-Roman heritage.This because the Basilian system didn't maintain fixed rules and didn't remain static , this is an evidence of vitality of the Basilian monastic system,which was in service of the society and humanity, that's why we wanted to search for Basilian monasticism and it's sivilized role

I was exposed to the life of Saint Basil and explained how his school was founded,I touched upon the principles of the Basilian monasticism.I explained the civilized mainifestation of the Basilian monasticism

Keywords: monastery, Kapdo, Saint Basil,laws, legislation, statu

Received: **5/9/2022**
Accepted: **30/10/2022**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY- NC-SA**

المقدمة:

لم تكن الرَّهبنة نوعاً جديداً من المسيحية، بل نبعت منها ومن حياة الكنيسة ويمكن تتبع جذورها في العهد الجديد؛ فقد تحدث السيد المسيح عنها: (هؤلاء الذين أعطوا نعمة كافية لكي يخصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات)، وفي موضع آخر علّم السيد المسيح تلاميذه أن يعيشوا حياة الفقر، هذا بجانب تعاليم السيد المسيح ودعوته لترك العالم المادي والتحرر منه.

والقدّيس بولس الرسول امتدح كثيراً حياة البتولية والنَّسك والتكريس، والتي جاهد المسيحيون الأوائل والرُّهبان ليحيوا حسبها، كما كانت حياة النَّسك التي عاشها إيليا ويوحنا المعمدان نموذجاً سعى النُّساك الأوائل ليحتدوا به[1].

ولدت الرَّهبنة في مصر وانتقلت منها إلى سورية شهدت الرَّهبنة تطوراً من العزلة الفردية إلى العزلة المترابطة وكان التطور النهائي للرَّهبنة هي الحياة المشتركة (الدَّيرية).

وقد عرف العالم المسيحي ثلاث مدارس للرَّهبنة هي : المدرسة المصرية، والمدرسة السورية، والمدرسة الباسيلية الكبادوكيا.

تعد المدرسة المصرية هي الأقدم والمدرسة السورية هي الأكثر شهرة بينما المدرسة الباسيلية الكبادوكيا التي أسّسها القدّيس باسيليوس الكبير(٣٣٠-٣٧٩م) هي الأكثر تنظيماً وشمولاً، وهي التي جمعت بين المدرستين السورية والمصرية ونظّمت الحياة الدَّيرية بالشكل الأفضل وأصبح النمط الرّهباني الباسيلي النمط الأكثر انتشاراً في الشرق الروماني .

إشكالية البحث:

البحث هو محاولة للإجابة عن أسئلة إشكالية:

كيف تمكن القدّيس باسيليوس من تنظيم الحياة الرَّهبانية؟

ما الآلية المتبعة في ذلك؟

وهل استفاد باسيليوس من الرَّهبنة السورية والمصرية من أجل تحقيق مشروعه الرّهباني الدّيري وكيف طبق ذلك؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تقديم صورة مفصلة عن الرَّهبنة الباسيلية، ومعرفة مدى تأثير المراكز الرَّهبانية في سورية ومصر في مشروع باسيليوس الرَّهباني الدّيري، ومحاولة إلقاء الضوء على الجوانب الحضارية للمدرسة الرَّهبانية الباسيلية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى محاولة تقديم صورة واضحة عن الرَّهبنة الدَّيرية الباسيلية والقوانين التي وضعها القدّيس باسيليوس وطبقها أيضاً في مشروعه الرَّهباني، كما يهدف إلى إبراز الدور الحضاري الذي أدته الأديرة الباسيلية في حفظ التراث من الضياع.

منهجية البحث:

المنهج المتبع هو المنهج التاريخي الذي يتمثل في الاطلاع على مختلف مصادر الدراسة ومراجعها، وجمع المعلومات المتعلقة بالرَّهبنة الباسيلية وتحليلها ونقدها، ثم اتباع المنهج المقارن بين المعلومات وعرضها وفق منهج أكاديمي.

[1]- Hannay .J (1976):The Spirit And The Origin Of Christian Monasticism, London, P.10

أولاً: حياته:

1-أسرته :

القدّيس باسيليوس Basileios (٣٢٩-٣٧٩م) ولد من عائلة أرستقراطية مرموقة من قيصرية[1]، وكانت أسرته مسيحية منذ أيام اضطهاد المسيحين التي انتهت في أوائل القرن الرابع، والده باسيليوس القديم رجل قانون و بلاغة والدته أميليا مشهورة بالتقوى الفضيلة[2].

أسرة باسيليوس تتألف من عشرة أفراد؛ خمس بنات أكبرهن ماكرينا، وخمس أبناء أشهرهم باسيليوس أسقف قيصرية وغريغوريوس Gregorios أسقف نيس Nyisa، وقد رفع من هذه الأسرة ستة إلى مرتبة القدّاسة (باسيليوس وجدته لأبيه ماكرينا وأمه أميليا وأخته ماكرينا وأخوه غريغوريوس و بطرس)[3].

2-تعليمه :

درس باسيليوس الكبير أولاً المعارف الكلاسيكية في مدرسة أبيه، وتلقى تعليماً أدبياً، ومع ذلك كان شأنه أنْ يجعله يسير على خطى والده كمحامٍ وخطيب[4]، أما تحصيله الثقافي كان أولاً في مدرسة البلاغة بقيصرية حيث اجتمع مع القديس غريغوريوس النزينزي[5] للمرة الأولى، ثم تابع دراسته في مدرسة القسطنطينية على يد الخطيب ليبانيوس الأنطاكي[6] الذي ربطته به مودة ومراسلة، وعند عودته إلى موطنه بدأ حياته المهنية لكنْ تأثير أخته المتدينة ماكرينا التي أصبحت فيما بعد راهبة، جعله يميل تجاه الحياة الزَّهدية مع مجموعة من الأصدقاء وأسس جماعة رهبانية في ملكية تعود للعائلة في Annesi في بنطس .

عزم القدّيس باسيليوس على دراسة الفلسفة أي الرهبنة وفقاً لقانون الكنيسة بعد أن أمضى وقتاً في السعي وراء العلوم وتعلّم من الفلاسفة الوثنيين، انكبّ على دراسة تعليقات (أوريجانوس) وكتابات أفضل الكتاب المعروفين الذين عاشوا قبل وبعد زمنها في شرح الكتب المقدسة عارض باسيليوس بشجاعة تعاليم أريوس[7] مبرهناً على أنّ هؤلاء هراطقة لم يفهموا جيداً كتابات من سبقوهم ولا

---

[1] – عاصمة كبادوكيا والتي كانت مقاطعة في الاناضول ذات أهمية خاصة في القرن الرابع الميلادي بسبب موقعها على الطريق العسكري بين القسطنطينية وأنطاكية.

2 – طرابيشي، جورج.(١٩٩٧) : **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة ، بيروت ، ص ١٤٢

3 – مورول، رول. (٢٠٠١): **الحياة بحسب الإنجيل قوانين باسيليوس للحياة المسيحية** ، ترجمة منزيت قتله ، مراجعة القمص كمال حليم ، القاهرة . ص ٧-٨.

4 – الفاخوري، حنا. (٢٠٠١)، **تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة**، المكتبة البوليسية، بيروت، ص٤٩٦ -٤٩٧.

[5] –غريغوريوس النزينزي (٣٣٠-٣٩٠م) : يعد من أعظم الآباء الكبادوك هو مفكر و شاعر و متصوف خطيباً و لاهوتياً له العديد من المؤلفات اللاهوتية :(الثالوث ، الروح القدس ، المسيح ، الأفخارستيا ، التأليه). انظر : الفاخوري.(٢٠٠١)، ص ٥١٣-٥٢٨.

[6] –ليبانيوس (٣١٤-٣٩٤م): فيلسوف وخطيب وأستاذ البلاغة ولد في أنطاكية السورية درس البلاغة في مدرسة أثينا ومدرسة القسطنطينية بقي معادياً ومحارباً للديانة المسيحية حتى وفاته .

[7] –آريوس: كاهن في كنيسة الإسكندرية، هو من أصل ليبي ولد عام ٢٥٦م ، تتلمذ في أنطاكية السورية على يد لوقيانوس الأنطاكي كما يدعي ، المصدر الوحيد عن عقيدة آريوس هي المناظرة التي جرت بين آريوس وأثناسيوس الرسولي رئيس شمامسة كنيسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور قسطنطين

آراء أوريجانوس[1](١٨٥-٢٥٤م) التي اعتمدوها أساساً، بعد وفاة يوسابيوس أسقف قيصرية أصبح باسيليوس أسقفاً يدير هناك الكنائس[2]، وعندما وصل الإمبراطور الروماني فالنس الآريوسي Valens (٣٦٤-٣٧٨م) إلى قيصرية أرسل الحاكم إلى باسيليوس وأمره باعتناق المفاهيم الدينية الآريوسية[3]، هدد القديس بالنفي فأجاب (المكان الذي أنفى إليه وطني وما أنا سوى سائح وغريب عن هذه الأرض)، وهدّد أيضاً بحجز الأموال فأجاب : (لا أهمية للحجز لمن لا يملك شيئاً)، وهدّد بالموت فأجاب: (أشكرك على ذلك تبكر بذهابي للقاء ربي)، فغضب الحاكم وقال لمْ يكلمني أحد بعد بهذه العبارات فأجاب باسيليوس: (ربما لأنَّك لم تصادف حتى الآن أسقفاً حقيقياً)[4].

فنال بذلك باسيليوس إعجاب الإمبراطور فالنس Valens (٣٦٤-٣٧٨م)، وبعد مقتل فالنس هدأت الأحوال بالكنيسة واستقرت الأمور فيها، ولكن لم ينعمْ باسيليوس بهذا الاستقرار إذ اشتدّ عليه المرض وتنيح بسلام هو لم يتجاوز الخمسين من عمره[5].

ثانياً : المدرسة الرهبانية الباسيلية :

أسس القديس باسيليوس مدرسة رهبانية خاصة، رعاها بإرشاد وثبتّها بقوانين وفرائض لا تزال مصدراً حياً، وقد استفاد من المدرسة الرهبانية المصرية[6] فعمل على التوفيق بين الطرق المختلفة لتوحيدها في نظام جديد، وهكذا أصبح السلوك إلى القداسة علماً؛ له

الكبير Constantine (٣٠٦-٣٣٦م) في مجمع نيقية؛ وتعد هذه المناظرة المصدر الأصلي الوحيد لبيان عقيدة آريوس كما يذكر المؤرخ سوزومين Sozoomenus (٣٨٣-٤٥٠م). دارت المناظرة بعد أنَّ رأس الإمبراطور المجمع وطلب من آريوس أن يشرح مذهبه فقال: (الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية وليس من جوهره وقد كان الأب في الأصل وحيداً فأخرج الابن من العدم بإرادته والأب لا يمكن ان يراه أو يكافئه أحد ولا حتى الابن لأنّ الذي له بداية لا يعرف الأزلي). وكان التعليم يتلخص كما يبدو من شرحه لمذهبه أمام الإمبراطور قسطنطين في خمسة نقاط: (كان زمناً لم يكنْ فيه للابن وجود أو قبل أن يولد ولم يكنْ، خلق من جوهر لم يكن من قبل موجوداً أو صُنع من مادةٍ لا وجود لها أي خلق من العدم، خُلق من جوهرٍ يخالف جوهر الله، لأنَّه خلق ولم يولد فإنَّه يشارك المخلوق في صفاته، ولأنَّه مخلوق لا مولود فإنّه قابلٌ للتغيير والاستحالة).

انظر : سوزومين.(١٨٩٠)، **التاريخ الكنسي**، تر بولا ساويرس ، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ١: ١٥.

[1] -أوريجانوس (١٨٣-٢٥٤م): ولد في مصر يعد من أبرز آباء الكنيسة الأوائل استلم رئاسة مدرسة الاسكندرية اللاهوتية بعد وفاة أكليمندس الإسكندري، يعتبر أوريجانوس مؤسس الفلسفة المسيحية وقد اتبكر مصطلحات لاتزال تستعمل إلى يومنا هذا (طبيعة، جوهر ، مساوٍ في الجوهر، إله أنسان) اشتهر أوريجانوس بالتفسير الرمزي للكتاب المقدس .(طرابيشي .١٩٩٧، ص١١٢-١١٣)

[2] -سوزومين (١٨٩٠)، ٦: ١٧

[3] -سوزومين (١٨٩٠)، ٦: ١٦

[4] -خطاب **غريغوريوس النزينزي** : ٤٣.

[5] -خوري، إيما غريب. (١٩٩٤)، **الأقمار الثلاثة وآباء القرون الاربعة الأولى**، منشورات النور، دمشق، ص ١١٨.

[6] -ويعد الراهب أنطونيوس الكبير Anthony of Egypt المولود في مصر سنة ٢٥١م مؤسس الرهبنة المصرية فقد دعا إلى حياة الانفراد والعزلة وإنكار الذات والصلاة والتفكير بالله بعيداً عن المدن والاضطرابات الدينية .

عاش أنطونيوس في انفراد تام لمدة عشرين عاماً مجاهداً بالصوم والصلاة ومعرضاً ذاته للامتناع عن جميع أنواع الحرمات، فذاع صيته في كل أنحاء مصر وتوافد عليه المسيحيون لزيارته ورغبوا بالعيش بقربه وتحت قيادته، وتجمع حوله عدد من عشاق الرهبنة والفضيلة وتم تأسيس أول جماعة رهبانية عام ٣٠٥م . هذه الجماعة لم يكن لها قوانين مفصلة بشأن الحياة النسكية، بل جملة من الطرق لبلوغ الكمال الروحي والأدبي اقتداءً بسلوك مؤسسها ومثله وأخلاقياته. انظر: أثناسيوس.(٢٠١٣)، **سيرة القديس أنطونيوس أب الرهبان**، ص ٣-٥

وظهر في زمن أنطونيوس نمط آخر لحياة الرهبنة، هو الرهبنة الجماعية أسسه باخوميوس الكبير Pachomius المولود سنة ٢٩٠م، وقد أسس باخوميوس عدة أديرة متقاربة على شاطئ النيل، وفي هذا النمط صار الرهبان يسكنون في دير يحيط به سور واحد وتجمعهم شركة واحدة في الأكل والشرب والصلاة واستحدثت وظائف وصناعات لتنظيم الحياة ضمن الدير. انظر: المخلصي.(١٩٨٩)، ص ٨٩.

أصول ثابتة وعامة وبسبب هذا الإنجاز الفريد استحق باسيليوس لقب (معلم الحياة الرَّهبانية) فقد أسّس مدرسة وجر وراءه جمهرة من المعلمين الروحيين عملوا ليس فقط لإرشاد أخوانهم إلى الحياة الرَّهبانية، بل على تأسيس أسس ثابتة لنهج رهباني جديد وفريد هو نهج القدّيس باسيليوس[1] .

زار القدّيس باسيليوس سورية ومصر قبل البدء بهذا المشروع الرَّهباني؛ ليرى بنفسه الحياة التي يعيشها الرَّهبان في هذه البلدان عن كثب، وأثناء تواجده في سورية تحفظ باسيليوس على حياة الرَّهبانية فيها وعلى أية حال كان باسيليوس ينتقد معيشة النُّساك السوريين، كما تبين من الاقتباس التالي لأقواله: (حين يعيش الإنسان متفرداً فإنه ينشد خلاص نفسه فقط وهذا ضد ناموس المحبة، لا أحد يصحح أخطاءه، الله خلقنا كأجزاء الجسم المختلفة يحتاج كل منا إلى معونة الأخر، ومن يعيش لنفسه قد يكون لديه موهبة ثمينة، لكنه يدفنها وكل من يقرأ الإنجيل يعرف خطورة هذا الفعل فالناس في المجتمع يتشاركون معاً في المواهب، وكيف يكون أي إنسان متواضعاً شفوقاً أو صبوراً ما لم يكن هناك إنسان أخر؟! أقدام من تغسل؟! لمن تقدم الخدمة ؟ كيف يكون أصغر الجميع إذا كنت وحدك)[2].

ففي مصر زار القدّيس العديد من الأديرة، ورأى أديرة كبيرة عامرة بالرُّهبان الذين يعيشون بالفقر والطاعة لرئيس يستشيرونه ويعملون حسب أوامره في الصلاة والعمل، وكانت هذه الأديرة مختلفة الفئات وكثيرة الضجيج، فالضوضاء كانت ترتفع من آلات الصناعات الكثيرة، ومعها صخب الجماعات، فكانت تعكر صفو الوحدة مع الله وتمنع عنها الصلاة الهادئة وتسبب البعثرة .

من خلال المقارنة بين الرَّهبنة في سورية ومصر من قبل القدّيس باسيليوس، لاحظ القدّيس أنَّ الحياة النّسكية المنفردة تعرض الإنسان للكبرياء والغرور وتبعده عن العيشة مع الآخرين الذين قد يفيدونه بأمثلتهم الفاضلة ونصائحهم الرشيدة، بينما الحياة الرَّهبانية الدَّيرية في مصر ركزّت على الجانب العملي وأصبحت الأديرة مراكز اقتصادية، وقد فهم القديس باسيليوس الخطأ في الحالتين فأراد المزج بينهما فتتعادل القيم وتستكمل المواهب[3].

اعتزل القدّيس باسيليوس في صومعة صغيرة عند نهر بنطس بعد عودته من زيارة هذه البلدان إلى بلدته[4]، فيما يلي تأمل لباسيليوس عن حياة النّسك والرَّهبنة : (أي شيء أعظم من التشبه على الأرض بجوقة ملائكية ففي طلعة الصباح تقوم للصلاة، وتمجيد الخالق بالإنشاد والتسبيح ثم الذهاب إلى العمل في إشراقة الشمس الصافية مصحوبين بالابتهال والصلاة في كل مكان حيث نمزج العمل بالتسبيح كما الملح في الطعام، الخلوة الصافية هي بداية تطهير الروح لأنَّ العقل إذا لم يضطرب من خارجه وإذا لم ينقد ذاته في أحاسيس العالم يرجع إلى نفسه ويرتفع إلى فكر الله)[5].

يختصر القديس غريغوريوس النزينزي(٣٣٠-٣٩٠م) طريقة باسيليوس عن الحياة الرَّهبانية بهذه الكلمات: (إنَّ حياة العزّلة تختلف أحياناً كثيرة وتتعاكس مع الحياة الرَّهبانية العاملة والرسولية، مع الأكيد لا تخلُ كل واحدة من الحسنات والشوائب أيضاً، الأولى هادئة وادعة ثابتة تساعد النفس كثيراً على الاتحاد بالله، لكنها لا تعصم الإنسان من الكبرياء، لأنَّ الفضيلة عند العاملين بها لا

1_ Morison.b,(1912),**sT Basil and his Rule Astudy in Early MonasTisM** ,Oxford,p.15

2- Foster.J.(1992).**Church .I .The First And Adrance**.London: Published By Sociely Of Christian Knowledge.P151.

3 –المخلصي. (١٩٨٩)، ص ٦٦.

4 – بونتوس أو بنطس Pontous ويطلق عليها أيضاً البنطس وهو أسم يطلق على أحد أقليم أسيا الصغرى جنوب البحر الأسود، كانت بنطس بلدة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة كبادوكيا التي كانت ولاية رومانية في تلك الفترة التاريخية.

5- Schaff.F,(2002).**History Of The Christian Chrch**,Vol111,New York,P900.

تخضع للتجربة وللمقابلة، أما الثانية فهي أكثر حركة ونشاطاً وأكثر منفعة للآخرين لكنها لا تخلُ من الانشغال والانفعال لذلك عزم القدّيس باسيليوس على مزج الحياتين معاً، وعلى جمع النُّساك مع الرُّهبان دون أنْ يضع حواجز بينهم، حتى لا تكون عند الرّاهب فلسفة دون حياة مشتركة ولا حياة رسولية وعاملة دون فلسفة، لذلك عزم القدّيس باسيليوس على مزج الحياتين معاً، والاستفادة من خصائصهما الايجابية وخلق حياة شركة نسكية رهبانية جديدة تكون أكثر نضوجاً وفاعلية، ولا ننسَ أنَّ الهدف الأساسي أو الفكرة الاساسية التي كانت تدور في فكر القدّيس هي خلاص البشر وتمجيد الله، ورأى أن دمج وتطوير الحياة النِّسكية المتوحدة والحياة الرَّهبانية الرسولية خير وسيلة للوصول إلى خلاص النفوس وتمجيد الله)[1].

١-القوانين الباسيلية الرهبانية:

أسس باسيليوس ديراً حوالي سنة (٣٥٦ م)على ضفاف نهر إيريس في كبادوكيا ووضع قانونه لأعضاء الدير، وساعده القديس غريغوريوس النزينزي بنصائحه وخبرته[2] وينقسم قانون باسيليوس إلى قسمين : القواعد المطولة وعدد أسئلتها خمس وخمسون سؤالاً، والقواعد المختصرة وعدد أسئلتها ثلاثمئة وثلاثة عشر سؤالاً.

وحده المؤرخ روفينوس (٣٤٥-٤١٠م)[3] الذي ترجمها إلى اللغة اللاتينية في قاعدة واحدة اسمها : قواعد القديس باسيليوس أسقف كبادوكيا للرهبان

Regulae Sancti Basilii Episcopi Cappadociae Ad Monachos

وهذه القاعدة اتبعتها بعض الأديرة الغربية لوقت طويل، ومن خلال اطلاع على القواعد الباسيلية يلاحظ اتباع القديس باسيليوس منهج التعليم المسيحي يسأل التلميذ سؤالاً يجيب عليه السيد.

عمل باسيليوس على وضع مبادئ لا جدال فيها والتي ستوجه الرؤساء والرُّهبان في سلوكهم، ويرسل رهبانه إلى الكتب المقدسة، وفي نظره الكتاب المقدس هو أساس كل التشريعات الرهبانية والقاعدة الحقيقية، وتشير الأسئلة بشكل عام إلى الفضائل التي يجب على الرُّهبان ممارستها، والرذائل التي يجب على الرُّهبان تجنبها، وتحتوي العدد الأكبر من الردود على آية أو عدة آيات من الكتاب المقدس مصحوبة بتعليق يحدد المعنى.

إنّ أبرز صفات القوانين الباسيلية هي حصافتها وحكمتها، ويترك للرؤساء العناية بالتفاصيل العديدة للحياة المحلية واليومية والفردية، ولا سيما فيما يخص الاحتفالات أو اللوائح الإدارية للدير[4].

من خلال دراسة القوانين المطولة والمختصرة التي وضعها القديس باسيليوس يمكن تحديد أهم القوانين الديرية التي وضعها باسيليوس :

1-خضوع أفراد الدير خضوعاً تاماً لرئيسهم ومدبر شؤونهم، بإصغاء هذا الرئيس إلى نصح الرهبان الشيوخ.

2-التركيز على العمل اليدوي المشترك لمصلحة الجميع.

3-الحفاظ على علاقات وثيقة مع الأديرة الأخرى.

---

[1] – باسيليوس.(١٩٥٢)، **القوانين الكبرى والصغرى**، تر الأب يوسف الشماس، المطبعة المخلصة، لبنان، **القانون الصغير** : ٣٨-٣٩-٤٠.

[2] –رستم، أسد .(١٩٨٨)، **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى**، منشورات البولسية، ص ٢٩٠.

[3] – روفينوس: راهب ومترجم ولد عام ٣٤٥م في مدينة كونكورديا Concordea الواقعة على شاطئ البحر الأدرياتيكي بإيطاليا من أسرة مسيحية تلقى تعليمه في روما وسافر إلى الشرق وعاش حياة الرهبنة والفضيلة هناك. انظر : هيرونيمس.(٢٠١٠)، ص ١٣١.

[4] – مورال.(٢٠١١)، ص ١٦-١٧.

4-إقامة علاقات مع المؤسسات الكنسية والمجتمع الوثني (الغير المؤمن بالمسيحية) وكان الهدف من هذه العلاقة هو التبشير بالديانة المسيحية بينهم.

٥-الاستعداد لاستقبال الأيتام من كلا الجنسين.

6-التركيز على مطالعة الكتاب المقدس والتأمل في محتوياته.

٧- يقوم الرَّهبان ببناء الصوامع والأديرة، ولقد كانت الجهود ذاتية من قبل الرُّهبان وتعاون مشترك فيما بينهم؛ من أجل عملية بناء الدّير الذي يتضمن مجموعة قلالي صغيرة وبالإضافة للكنيسة التي هي قلب الدّير وعملية البناء تتم بأشراف رئيس الدّير.

٨ - إنَّ الرُّهبان يلتزمون بأن يقوموا بكل الأعمال بأنفسهم، فهم الذين يحرثون الأرض و يغرسون الأشجار ويحصدون القمح.

٩-كل راهب يمتلك ثوباً واحداً وعباءة واحدة.

١٠- النوم على الأرض وفي العراء[1].

٢- القدّيس باسيليوس رائد الحياة الدَّيرية في الشرق والغرب :

أنشأ هذا القديس الدّير بعد الآخر حتى صار أباً لمئات من الرُّهبان، إنَّ الأديرة التي أسسها باسيليوس في حياته هي صغيرة الحجم قليلة السكان، ولأنّها كذلك يستطيع الرئيس أنّ يراقب حياة مرؤوسيه عن كثب فيوبخ أو ينصح ويثير الحماس أو يخفف منه، لأنه على إطلاع على حالة كل راهب من رهبانه.

ففي هذه الأديرة الصغيرة يكون العمل بسيطاً فلا يشطّ عن غايته، ولا يبتعد عن هدفه فيصبح سبيلاً للتجارة والكسب، وقد نظّم القدّيس باسيليوس العمل فحتّم أن تتخلله الصلوات خمس مرات في النهار وأن يستهدف حاجة الدير والرهبان، محذراً ألّا تمارس إلا المهن التي تتوافق مع غاية الحياة الرهبانية الاساسية.

جعل باسيليوس هذه الأديرة بيوتاً للصلاة والعيشة مع الله، ومدارس أيضاً يقصدها الطلاب من كلِّ حدبٍ وصوب، ليس فقط للانخراط في سلك الحياة الرهبانية؛ بل لنهل العلوم البشرية من معين صفا منهله وعذب جدوله[2].

أدارت بعض الأديرة الباسيلية مدارس للأطفال الساكنين في الجوار، وعمل باسيليوس على سن أنظمة خاصة تتوافق مع هذه الفئة الطالبة للعلم، فأمر بإقامة أمكنة خاصة ينامون فيها، ويدرسون أيضاً بعيدين عن سائر الرهبان وقرر ألا يشتركوا إلّا في بعض الصلوات للتفرغ للدرس والمطالعة، وفرض أيضاً أن يأكلوا أطعمة خاصة تتوافق مع أعمارهم ومزاجهم، حول ذلك يقول القدّيس باسيليوس :(يجب أنَّ تكون تربية هذه الفئة لطيفة خفيفة الوطأة تساعد على البلوغ إلى الهدف بطمأنينة وسلام)[3]، وعلاوة على ذلك احتوت المجتمعات الباسيلية أطفالاً معزولين يتدربون على مهن محددة كما يتدربون على حياة الرَّهبنة ولكنهم كانوا أحراراً في أن يغادروا[4] .

---

[1]- Thomas,J.(1998),Byzantine Manstic Foundation Document,Acomplete Transition Of The Surving **Founders**, Typika And Testaments,Vol,I, Harvard University, P36-38

[2] -المخلصي.(١٩٨٩)، ص ٦٦-٦٧.

[3] باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الصغير**، ١١-١٥

[4] باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الكبير**،١٥-٣٦.

شرع باسيليوس في تعيين رئيس الدير ومساعد يقوم بالإدارة في حال غياب الرئيس وكان الواجب أن تمارس السلطة بعطف أبوي ومشاعر أخوة وبعين الطبيب المدربة في سبيل خير الآخر وتكشف القوانين عن عدد من الوظائف استحدثت في المؤسسة الديرية منها أمين الصندوق، ومسؤول التموين ومساعده، مسؤول الأطفال، مسؤول عن الانضباط العام[1].

يمكن الجزم أنَّ هذه الوظائف التي استحدثت تعطي إشارة على مدى تطور الدير الباسيلي والأعداد الكبيرة للرهبان ضمن الدير.

انتشر نهج القديس باسيليوس ليس فقط في كبادوكيا، وإنما أيضاً في كل أنحاء سورية حتى مصر وعم كل الأديار فيها . يمكن القول : إن للتشريعات والقوانين الباسيلية الكبادوكيا تأثير كبير على تطور الرهبنة الديرية السورية حيث اتبعت معظم الأديرة السورية النهج الباسيلي وأصبحت الأديار مراكز للفضيلة والقداسة ونشر المسيحية والمحبة، ويتجلى التأثير الباسيلي بوضوح في التشريعات الاديرة السورية ومنها دير مار متى وتشريعات رابولا هذه التشريعات مستوحاة من القانون الديري الباسيلي[2].

أصبحت الأديرة السورية على النمط الباسيلي صغيرة الحجم وقليلة السكان، ولكن الميزة في الأديرة السورية الاهتمام الكبير بالتعليم حيث أصبحت الأديرة مدارس للتعليم الديني وتخرج منها عدد كبير من العلماء المشهورين بالعالم المسيحي ومنهم على سبيل المثال : يوحنا فم الذهب، يعقوب البرادعي، القديس ساويروس الأنطاكي وغيرهم الكثير[3].

إنَّ المؤرخ روفينوس Rufinus (٣٤٥-٤١٠م) تعرّف على النظم الباسيلية، وزار الأديار التي تبع الأنظمة الباسيلية أثناء تجواله في الشرق فترجم قوانين القدِّيس باسيليوس الكبرى والصغرى في كتاب واحد يضم ثلاثمئة سؤال وجواب[4]، وقد قام بهذا العمل نزولاً عند رغبة رئيس أحد أديار إيطاليا الجنوبية يدعى أورساكيوس Ursacius في حوالي سنة (٣٩٦-٣٩٧م) وهذه الترجمة هي التي عرفها القديس بنيديكتوس[5] Benedictus (٤٨٠-٥٤٧م) الذي يعتبر أباً لرهبان الغرب واعتمدها لسن قوانينه.

علاوة على ذلك قد استعان بعض رؤساء الأديرة في فرنسا خلال القرن الخامس والسادس الميلادي بقوانين القديس باسيليوس للقيام بإصلاح حالة الأديرة المؤسفة في ذلك الحين. أثبت البطريرك لاون الكبير(٤٤٠-٤٦١م)، رئيس أساقفة روما قوانين باسيليوس وشجع العمل بنهجها، وعلى الرغم من انتشار قوانين باسيليوس، لم يمنع الأديار من السقوط في الفتور والانحلال وإنَّ بعض الأديار فسدت وفتر رهبانها وأصبحوا دعاة بدعٍ وضلال ضد الكنيسة، لذلك ألحّت المجامع المسكونية[6] والخاصة في الشرق على

---

[1] -فين، ريتشارد.(٢٠١٢)، **الزهد في العالم الإغريقي الروماني**، أبوظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص ١٩٣- ١٩٤.

[2]- Thomas,J.(1998),p39-41.

[3] – أغناطيوس أفرام الأول.(١٩٥٠)، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، حلب : دار ماردين، ص ٢٣٠-٢٤٦.

[4] -المخلصي.(١٩٨٩)، ص ٨٠.

[5] -يعرف بالقديس بنيديكتوس النورسي ولد عام (٤٨٠م) في قرية نورسيا(أونرسي) بمدينة سبوليتو الإيطالية، درس في روما وتلقى تعليماً كلاسيكياً الذي كان سمة ذلك العصر، ثم اعتزل المجتمع نتيجة الفساد والانحطاط الذي لمسه، وفضل حياة الانعزالية حيث اعتزل في كهف سوبياكو، نظراً لشهرته في ممارسة الرهبنة جذب العديد من الرهبان واسس دير على قمة جبل (مونت كاسينو)، يعد أب الرهبنة الغربية، أول من أسس مجتمع رهباني منظم في مونتي كاسينو (وسط إيطاليا)، أصبحت الأديرة التي أسسها بنيديكتوس مراكز للنشر المسيحية في الغرب، وكذلك مراكز ثقافية وعلمية أسهمت في حفظ التراث الكلاسيكي .انظر: موريس، يقاريني (١٩٦٦): **تاريخ الكنيسة**، تر عقيقي اليسوعي، منشورات المعهد، ج٢،ص ٨٣.

[6] -المجمع المسكوني: معناه اجتماع رعاة ومعلمي الكنيسة من جميع جهات المسكونة (العالم) لمناقشة أمر يخص العقيدة المسيحية بهدف حفظ النظام وسلامة العقيدة بين المسيحيين.

انظر: عبدالله، محمد زايد. (٢٠١٤)، **مصادر التاريخ البيزنطي**، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ص ١٢١-١٢٢.

الرجوع إلى قوانين باسيليوس والتقيد بها وعملت على شرحها، حتى الأباطرة تدخلوا في أمر قوانين باسيليوس أوصوا بالحفاظ عليها وساهموا في بعض التجديد فيها، وهكذا أصبحت قوانين باسيليوس الديرية أصلاً لقوانين كثيرة حملت هذا الاسم نفسه[1].

٣-الموارد المالية للدير:

زادت موارد الدّير الباسيلي المالية خلال القرن الخامس الميلادي، نتيجة الهبات التي نالها من السلطات الرومانية أو الأفراد، إلى جانب الأنشطة الاقتصادية المختلفة التي مارسها الرُّهبان التي كانت تدر الكثير من المال.

أصبحت الاديرة الباسيلية تمتلك مساحات واسعة من الأراضي، نتيجة لهبات الأباطرة الرومان أو الأفراد أو لقيامها باستصلاح الأراضي البور لصالحها والتي كثيراً ما تعفى من الضرائب، ومن الملاحظ أنَّ النظام الرّهباني الباسيلي قد وضع العمل اليدوي في منزلة العبادة، وجعله جزءاً اساسياً من حياة الديريين، وبذلك أصبحت الأديرة مراكز للنشاط الزراعي ومجمعاً للفنون والحرف والصناعات[2].

كانت الموارد المالية بالدرجة الأولى تأتي من مزاولة الرُّهبان للعمل الاقتصادي بكل أشكاله وفقد جعل الرُّهبان أديرتهم مراكز للنشاط الاقتصادي، فأحيوا الأراضي وجففوا المستنقعات واستفادوا منها بالزراعة، وقاموا بتربية الحيوانات ومارسوا التجارة، فضلاً عن اتقان الصناعة ومنها: صناعة النسيج والصباغة ودبغ الجلود وصناعتها[3].

ليس من شك أنَّ ثروة الأديرة نمت نمواً كبيراً في وقت ساد الاعتقاد بأنَّ الخلاص الأبدي وقف على الاحسان والتصدق، حيث نالت الأديرة نصيباً من تبرعات الأفراد، وما حمله المسيحيين من جلائل النذور والقرابين، وما قدمه أغنياء الدولة الرومانية الذين نظروا إلى الرُّهبان في أجلال، وغيرهم من المسيحيين الذين حضروا للزيارة أو طلباً للشفاء والعلاج، لذلك نعمت الأديرة بالثروات الطائلة من وراء تلك الهبات[4]، هذه الموارد التي يتم الحصول عليها كانت توجه نحو بناء المزيد من الأديرة لمواجهة الزيادة المطردة لعدد لرّهبان، وتأمين كل مستلزمات الاديرة وحاجات الرُّهبان، بينما الفائض كان يتم صرفه على الفقراء والمحتاجين وغيرهم.

ثالثاً: قواعد الرهبنة الديرية الباسيلية :

الرَّهبنة هي نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طواعية واعتزال العالم، الحياة الرَّهبانية ليست ملجأ ولا مأوى للكسالى والفاشلين أو مهنة لعديمي المهن؛ وهي ليست دعوة لجميع الناس بل الذين يدعوهم الله فقط، المدعوون إلى الحياة الرهبانية لا يخلصون إلا في الحياة الرهبانية، والرهبان يختبرون ذلك جيداً وقد قال باسيليوس: (إنّ الرّاهب مطالب بأكثر ما يطالب به الإنسان العادي) [5].

1-الصلاة :

إنَّ أول واجب للراهب حسب تعليم باسيليوس أنْ يوثق العروة مع الله الذي من أجله ترى كل شيء ليكون في وحدة كاملة معه، وشرح باسيليوس الصلاة وبسط أنواعها المختلفة وطريقة تلاوتها وأوقاتها حيث يقول : (لابدّ من الصلاة صباحاً حتى توجه أفكار القلب والنفس قبل كلّ شيء إلى الله وحتى تتّوج أعمال النهار بها، لا يبدأ الجسم بالعمل إلا بعد تسبيح الربْ، وفي الساعة الثالثة

---

[1]- Battifal.(1934),Hist,dirossano,Moris : **la grande Grece les moines de costantinople**, p112.

[2] – لوكلير.(٢٠٠٢)، ص ٢٩١.

[3] – كانتور، نورمان.(١٩٩٧)، **التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البداية والنهاية**، تر: قاسم عبده قاسم، القاهرة : مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص ٢٢٥-٢٢٦.

[4] – لوكلير.(٢٠٠٢)، ص ٢٩١.

[5] – الأورشليمي، يسطس.(٢٠١٠)، الرهبنة القبطية وأثرها على العالم، القاهرة : مركز الزمالة للدراسات والفنون القبطية، ص ٣

تنهض للصلاة مع الأخوة رغم أنَّ ذلك يسبب انقطاعاً عن العمل فنذكر آنئذٍ نزول الروح القدس في مثل تلك الساعة، وفي الساعة السادسة نتشبه بالقدّيسين الذين قالوا: في المساء وبالغدوة ونصف النهار نصلي، وفي التاسعة نصلي حتى نتشبه بالرسل، في الليل نصلي لأجل الاستمتاع بالراحة والنجاة من الخطيئة، وعند بزوغ الفجر نسرع إلى تمجيد الله هاربين من النوم لا يمكن أنْ نهمل جزء من هذه الفروض)[1].

إنَّ الصلاة عند باسيليوس تستلزم نقاوة القلب أي يكون متحرراً من كل غاية أو مصلحة شخصية فترتفع حينئذٍ صلاته كالبخور وتعمل عملها القوي لدى الربْ، ولا بدّ من الثقة في الصلاة، لأنَّ الله لا يستجيب لمن لا يؤمن بقدرته على نقل الجبال وإطعام العصافير والاهتمام بجيوش النحل والنمل[2].

ومن الملاحظ من قاعدة وقانون الصلاة عند القدّيس باسيليوس أنَّ يصل الراهب إلى رؤية الله وإلى الوحدة معه حينئذٍ تصبح الصلاة هواءً يستنشقه وطعاماً يغذيه ويحييه.

2-العمل:

يدخل العمل ضمن النظام الباسيلي ويستند القدّيس باسيليوس إلى كلمة السيد المسيح (أنَّ العامل يستحق أجرته)[3]، وجعل العمل صلب الحياة الرهبانية وأنَّ الرهبانية ليست مجالاً للكسل وليست هروباً من مسؤولية العمل التي أمر بها الربْ كما قال : (بعرق جبينك تأكل خبزك) [4]، ونظم القديس باسيليوس العمل، ويُعطى الراهب العمل الذي يتوافق مع مؤهلاته وليس ما يطلبه هو، ويلتزم الراهب أن يعمل بنشاط وجهد، وكل واحد من الرهبان يعمل لكمال المجموعة كما تعمل الاعضاء لكمال الجسد (العين تراقب مصالح الدير، وتسهر على أشغاله وهكذا بعض من الرُهبان، والبعض الأخر هو مثل الأذن يسمعون الشكوى وأنين العذاب فيعملون كاليد لدرء الشرور، وهكذا كل واحد يكون في مقامه وإلّا اختلّ التوازن وعمّت الفوضى)[5].

يحذر القديس باسيليوس بأنَّ ليس كل عمل يتوافق مع الحياة الرهبانية، لا بدّ للعمل أن يساعد على حفظ السلام ويحقق الهدوء في الدير، ويجب الابتعاد عن كل عمل يشغل البال كثيراً ويستلزم جهداً كبيراً للحصول على المواد الأولية وعلى تصريف الإنتاج والمحصول ثم يحذر من الاختلاط في العمل بين الجنسين[6].

الملاحظ في قاعدة وقانون العمل أن باسيليوس جعل العمل هو جوهر الحياة الديرية وابتعد عن كل الأعمال الشاقة والتي تحتاج وقتاً وجهداً كبيراً، وهو يربط بين العمل والصلاة، وعلى اعتبار أن الصلاة مقدسة كذلك العمل مقدس.

3- التجرد والأماتة :

التجرد في القانون الباسيلي؛ نسيان الذات وإهمال كل شيء يعيق العلاقة مع الله يقول القدّيس باسيليوس :(لا تهتم بالغنى، ولا الفنون ولا الجسد ولا بالصحة ولا بالجمال ولا باللذة ولا بالعيش الهنيء، ولا يشغل بالك المجد والعظمة والسلطان، ولا بسطة الحياة، اهتم قبل كل شيء بأمور نفسك)[1].

---

[1] باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الكبير** : ٣٧

[2] -باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الكبير** ٣١

[3] -أنجيل متى، ١٠:١٠.

[4] -العهد القديم، سفر التكوين، ٣: ١٩

[5] -باسيليوس (١٩٥٢)، **القانون الكبير** ٣٧.

[6]- Morison.(1912),op.cit,p79-86

غاية التجرد هي إصلاح الطبيعة التي فسدت بالخطيئة والجهل والشهوة والموت وإرجاعها إلى حالتها الأولى، إنَّ السيد المسيح أعطى كل إنسان وخصوصاً الراهب القدرة على الرجوع إلى المثال الأول الذي يشبه صورة الله بالتمام، لذلك يلتزم الراهب بقتل الخطيئة المعشعشة فيه ووأد الشهوة التي تتأجج سعيرها في جسده هذا هو التجرد، وغاية التجرد ليست الموت بل التحرر، وليس قتل ما فينا من آمال وشهوات وملكات بل تحريرها بواسطة الاماتة والسهر من كل عائق يمنع مسيرتها نحو الله .

إنَّ التجرد يعطى الراهب الطمأنينة فلا تعدْ تراود فكره هموم ولا تطرق في مخيلته صور قديمة ولا يعدْ قلبه يستعذب الحياة الماضية، بل يكون حراً مستقلاً منقطعاً إلى الصلاة و العيش مع الله بمحبة[2].

الأماتة في النهج الباسيلي هي الالتزام بالخير العام وتفضيله على الخير الخاص وتقبل الأنظمة مهما كانت، والهدف من الأمانة عند القدّيس باسيليوس استئصال الرذائل كالشراهة والكبرياء والحسد والبخل والغضب وغيرها، ومحاربة الميول الفاسدة وخاصة الشهوة وحب العالم، بالأماتة يتحكم الراهب بما يفور فيه من الداخل من شهوات ويبتعد عن اللهو والعشرة الفاسدة والراحة والتلذّذ بما تطلبه الأنانية المقيتة، وترمي الأماتة في فكر القديس باسيليوس أن يعيش الإنسان في السلام والطمأنينة ويتحرر من كل السلاسل والقيود لينصرف إلى تعبد الله والعمل في سبيل الكمال، وهنا الراهب يتجرد من كل شيءٍ حتى عن الأمور الجسدية لكي يتفرغ كلياً لله وحده[3].

مما تقدم يمكن القول أنَّ القديس باسيليوس ابتعد كثيراً عن نظم الرهبانية في سورية و مصر التي فرضت أماتات مرهقة وشاقة لا يستطيع كلّ إنسان العمل بها واحتمال مشقاتها.

4- العزّلة والصمت:

المقصود بالعزّلة والصمت عند باسيليوس الاختلاء والابتعاد عن العالم، وعلى الرغم أنَّ القدّيس باسيليوس من دعاة الحياة المشتركة، ولكنه لا ينأ من التشديد على الصمت وعلى الالتزام بالخلوة والهدوء، فهذا هو الشرط الذي بدونه لا تستقيم الحياة الرَّهبانية، إذ كيف يمكن للرّاهب أنْ يصلي ويدرس ويطالع الكتاب المقدس وأن يعكف على اكتشاف نفسه إذا كانت الضوضاء تملأ نفسه وتملأ أرجاء الدّير؟![4].

الصمت الذي يريده باسيليوس ليس الصمت الخارجي فقط بل الصمت الداخلي، فالقدّيس باسيليوس يمنع كل عمل يسبب الضجيج، ويمنع كل عمل يستلزم السفر والخروج مراراً من الدّير، والمهم من هذا القانون عند القدّيس باسيليوس الوصول لله، يقول باسيليوس : (لا يمكن أنَّ نتمّ الوصايا ووصية محبة الله خالصة طالما أفكارنا تسرح في كل مكان وطالما تراودنا الهموم العالمية)[5].

يمكن القول أن هدف القديس باسيليوس من قانون الصمت والعزلة، أنْ يضفي على النفس وحتى على الجسد الطمأنينة والسكون، فتستطيع النفس أنْ ترتاح مع السيد المسيح، وتطمئن في الصلاة وتذهب بعيداً في الوحدة مع الله فتكلمه وجهاً لوجه وتحادثه وتناجيه.

---

[1] – المخلصي.(١٩٨٩)، القديس باسيليوس الكبير، **عظة إهتم لذاتك**، تر عن الأصل اليوناني : كيرلس حداد المخلصي، ص ٢٥٧.

[2] –باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الكبير** ٢٨.

[3] –باسيليوس.(١٩٥٢)، **القانون الكبير**، ٥-١٧-٤٥.

[4] المخلصي.(١٩٨٩)، القديس باسيليوس الكبير، **عظة أعرف نفسك**، تر عن الأصل اليوناني : نجيب حجار، ص ٢٤٦.

[5] –باسيليوس الكبير.(١٩٥٢)، **القانون الصغير** ١٧.

5-الطاعة:

الفكرة الرئيسية عند باسيليوس هي فكرة الطاعة والانقياد للوصايا الإلهية، ولا سيما الوصية الأولى والوصية المتعلقة بها جوهرياً أي وصية المحبة الأخوية، إذا كانت محبة الله تقتضي من المسيحي أنْ يتجنب كل ما يحمله على الخطيئة، فمحبة البشر تدعوه إلى أن ينضم انضماماً بلا حدود إلى من هم شركاؤه في الحياة الرَّهبانية.

شدد باسيليوس على قانون الطاعة، فهناك سؤال يطرح نفسه : هل يستطيع كل واحد أن يعمل في الحياة المشتركة وأن يعيش ويعمل ويفكر ويتكلم على هواه؟ هل يستطيع كل واحد أن يعمل أو يقول ما يريد بدون أن يُراعى كلام الكتاب المقدس؟ سيدنا يسوع المسيح قال عن الروح القدس: (لن يتكلم من عند نفسه، بل يتكلم بما قد يكون قد سمع)[1]، ويقول أيضاً :(إنَّ الابن لا يستطيع من نفسه أن يعمل شيئاً)[2] ، وأيضاً (لم أتكلم عن نفسي بل الأب الذي أرسلني هو حددّ لي ما أقول، ما أبشّر، وأعلم أنَّ وصيته حياة أبدية، فما أقول إذاً إنَّما أقوله على حسب ما أوصاني به أبي)[3](فمن يجرؤ من نفسه أن ينقاد لجنونه ويفكر كما يشاء؟ أليس هو بحاجة إلى مرشد إلى روح الحق الذي يرشده إلى الحقيقة كلها)[4].

هكذا على كل حال لابدَّ من الخضوع إما لله على حسب وصيته، وإما للآخرين بسبب وصيته، لأنَّه كتب (إن أراد أحد منكم أن يكون الأول فعليه أن يكون آخر الكل، خادماً للكل)[5]، فالطاعة عند القدّيس باسيليوس هي خضوع داخلي بعيد عن التذّمر وهي الخدمة الصالحة والعمل المجدي قامت الطاعة على وصية المحبة الإنجيلية[6]، وأفضل نموذج للطاعة هو المسيح في رسالته ولاسيما عمله الفدائي الذي فيه : (أطاع حتى الموت)[7].

يمكن تلخيص تصور القدّيس باسيليوس عن الطاعة في أنَّ وصية المحبة تحتوي جميع الوصايا الأخرى:

-الرّاهب يختار الحياة المشتركة ويخضع للجميع، متخلياً عن حب الذات وكل عائق للمحبة.

-الرّاهب يختار الحياة المشتركة ويلتزم الطاعة لكي يتخلى عن إرادته الخاصة ويتحرر في اتباع المسيح.

-الرّاهب يطلب الطاعة التي توفرها له الحياة المشتركة لأنه يريد أن يخضع لإرادة الله في كل شيء[8].

رابعاً- مظاهر الحضارة في المدرسة الديرية الباسيلية :

١-المظهر الديني:

تعد الأديرة مراكز للعبادة والتأمل وتلاوة الفرض الإلهي وقد اعتبر القدّيس باسيليوس الصلاة الجزء المتميز من اليوم الديري، لذلك اتخذ الناس الرُّهبان وسطاء وشفعاء عند الله.

---

[1] -إنجيل يوحنا، ١٦: ١٣

[2] -إنجيل يوحنا، ٥: ٩.

[3] -إنجيل يوحنا ،١٢: ٤٩-٥٠.

[4] -إنجيل يوحنا، ١٦: ١٣

[5] -أنجيل مرقص، ٩: ٣٤.

[6] -باسيليوس .(١٩٥٢)، **القانون الصغير** ١.

[7] -العهد الجديد، **رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي**، ٢: ٨

[8] -الفاخوري .(٢٠٠١)، ص ٥١٠-٥١١.

أصبحت الأديرة الباسيلية مراكز لأعمال نشر الديانة المسيحية في البلاد الوثنية إنَّ تاريخ الرُّهبان الباسيلين هو تاريخ الكنيسة الشرقية فقد أسهموا في انتشارها وتركيز أسسها و درء البّدع عنها وجلاء حقائق الإيمان في تعليمها[1].

٢-المظهر العلمي والثقافي:

كان الرُّهبان أئمة الفكر منذ عهد القديس باسيليوس وحملة مشعل المعرفة والرسل غِير حاملين للرسالة الذين نشروا الكلمة الصالحة والمحبة إلى الأقطار النائية، فلا عجب أن نرى البطاركة والأساقفة في الشرق يخرجون بأعداد كبيرة من الأديار حاملين معهم صفاء التعليم ونقاء السير وشدة المراس لدعم ملكوت المسيح على الأرض[2].

حفظ الرُّهبان الباسيلين تراث الثقافة القديمة كله من الضياع، فقد أسسّوا في كل دير مكاناً للمكتبة ومكاناً لنسخ الكتب تشجيعاً لمن يجد في نفسه الكفاءة للكتابة والتأليف، وعمل النساخ على نسخ مؤلفات آباء الكنيسة ومؤلفات الكتاب الوثنيين من القرون الماضية، فضلاً عن نبوغهم في زخرفة المخطوطات وتزيينها[3].

إنَّ ما اتسم به الرُّهبان من الحماس وحب المعرفة والاستطلاع هو الذي هذب العلوم الدينية بل والعلوم الدنيوية، وكان لابدَّ للأجيال التالية من أن تعترف في شكر وامتنان بأنَّ أقلام هؤلاء الرُّهبان هي التي دأبت دون كلل أو ملل على حفظ تراث اليونان والرومان وضاعفتها[4].

لا ريب أنّ الدّير الباسيلي أصبح مركزاً تعليمياً يحتوي على مدارس لتعليم نّساك أسدوا خدمة للحضارة والكنيسة معاً، وكانت الأديرة منارة للعلم في تلك الفترة وفي الوقت الذي كان فيه عامة الناس يعمهم الجهل وظلَّ التعليم في الأديرة رصيناً متصلاً[5]، وهكذا أعد الرُّهبان ما يلزم للنهضة العلمية إذ حصلت.

خامساً: الخاتمة والنتائج:

هكذا نجد أنَّ الرهبنة نبعت من حياة الكنيسة وهي حياة إنجيلية نبعت من تعاليم السيد المسيح ودعوته لترك العالم المادي والتحرر منه، وأصبحت فلسفة الديانة المسيحية لها مبادئ أساسية هي البتولية والعزلة والفقر الاختياري، ولدت الرهبنة في مصر وتطورت في سورية ونظمت في كبادوكيا على يد القديس باسيليوس الكبير.

أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث هي التالي:

- يعد القديس باسيليوس الكبير منظم الحركة الديرية بالشرق والغرب، أنَّ الرهبنة المنعزلة تؤدي بآثار سلبية ونفسية، لذا دعا باسيليوس إلى الرهبنة الجماعية وترك التوحد وحياة الخشونة والصرامة التي اشتهرت بها الرهبنة السورية.

-امتاز القديس باسيليوس بقوانينه الرهبانية التي كانت شاملة وجامعة للرهبنة المسيحية وكانت قوانين باسيليوس استمراراً واستخلاصاً من التقاليد النسكية السورية والمصرية.

-أصبحت الأديرة الباسيلية مراكز لأعمال التنصير ونشر الديانة المسيحية في العالم الروماني.

---

[1] -موريس، يقاريني.(١٩٦٦)، **تاريخ الكنيسة**، تر عقيقي اليسوعي، مصر: منشورات المعهد، ج٢، ص ٨٣.

[2] -المخلصي.(١٩٨٩)، ص ٨٣.

[3] -موريس. (١٩٦٦)، ج٢ ، ص ٨٣.

[4] -عمران ، محمود. (١٩٩٨)، **حضارة أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ١٠٤.

[5] -موريس.(١٩٦٦)، ج٢، ص ٨٣.

– وضع المشروع الرهباني الديري الباسيلي من أجل خدمة المجتمع وأصبحت الأديرة مدارس للتعليم ومراكز صحية من أجل تقديم التعليم والشفاء للسكان.

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١-الكتاب المقدس

٢-أثناسيوس ،(٢٠١٢)، سيرة حياة القديس أنطونيوس أب الرهبان ، تر: بولين تدري أسعد ، مطبعة اميريال ، القاهرة

٣-باسيليوس (١٩٥٢): **القوانين الكبرى و الصغرى** ، تر الأب يوسف الشماس، المطبعة المخلصة ، لبنان .

٤- سوزومين (د – ت) : **التاريخ الكنسي** ، تر بولا ساويرس ، القاهرة .

المراجع العربية والمعربة :

1- أغناطيوس أفرام الأول.(١٩٥٠)، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية** ، حلب : دار ماردين.

٢-خوري ، إيما غريب (١٩٩٤): **الأقمار الثلاث وآباء القرون الأربعة** ، منشورات النور ، دمشق.

٣-رستم أسد (١٩٨٨): **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى** ، بيروت : منشورات البولسية

٤-عمران ، محمود (١٩٩٨): **حضارة أروبا في العصور الوسطى** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر .

٥-الفاخوري، حنا (٢٠٠٢): **تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة** ، المكتبة البوليسية ، بيروت .

٦- فين، ريتشارد.(٢٠١٢) : **الزهد في العالم الإغريقي الروماني** ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي

٧-طرابيشي، جورج. (١٩٩٧) : **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة ، بيروت .

٨- كانتور، نورمان.(١٩٩٧)، **التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البداية والنهاية**، تر: قاسم عبده قاسم، القاهرة : مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

٩-لوكلير، جان (٢٠٠٢): **الحركة الرهبانية** ، دار المشرق ، بيروت .

١٠- المخلصي، إلياس كويتر (١٩٨٩): **القديس باسيليوس الكبير**، مكتبة البولسية، بيروت.

١١-مورول، رول (٢٠٠١): **الحياة بحسب الإنجيل قوانين باسيليوس للحياة المسيحية** ، ترجمة منزيت قتله ، مراجعة القمص كمال حليم ، القاهرة .

١٢-موريس، يقاريني (١٩٦٦): **تاريخ الكنيسة**، تر عقيقي اليسوعي ، منشورات المعهد ،

المراجع الأجنبية:

1-Battifol.(1934):Hist ,dirossano,Moris: **la grande Grece les Moines de constantinopl**.

2-Schaff,(2002).**History Christian chrch**.Vol111,New york

3-Foster.J.(1992).**church .I .The first And Adrance**.London: published by Sociely of Christian Knowledge.

4-Morison.b,(1912),**sT Basil and his Rule Astudy in Early MonasTisM** ,Oxford,

5-Thomas,J.(1998),**Byzantine Manstic foundation Document,Acomplet transition of** the surving founders, typika and testaments,vol,I, Harvard university, p36-38.